لقد توحَّد عنترة مع جواده حين راح يتحاور معه ومن خلاله ، وإن بدا الجواد لديه عاجزاً عن الحوار إلا من خلال لغة خاصة ، يفهمها عنترة بحكم معاشرته له ، وعلاقته الحميمة به ، وهى اللغة المشتركة التى حرَّر من خلالها الفرس فارسه ، فإذا به يتجاوز من خلاله طبقته ، فكان الجواد والفروسية وسيلة ومدخلا إلى أوسع أبواب التحرر الإنسانى ، بل بدا رمزا من رموز تلك الحرية ذاتها :

هلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تعلمى
إذ لا أزال على رحالة سابح ... نَهْدٍ تعاوَرَهُ الكماةُ مُكلَّم
طورا يُجرِّدُ للطعان وتارة ... يأوي الى حصِدِ القِسىِّ عرمرم
لما رأيتُ القوم أقبل جمعهم ... يتذامرون كررْتُ غيرَ مذمم
يدعون عنترَ والرماحُ كأنها ... أشطانُ بئرٍ فى لَبانِ الأدهم
ما زلت أمِيهم بُثغْرَةَ نحره ... ولَبَانه حتى تسربل بالدم
فازورَّ من وقع القنا بلبانه ... وشكا إلىَّ بعَبْرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورةُ اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلَّمى
والخيلُ تقتحمُ الغُبَار عوابسا ... ما بين شَيْظَمةٍ وأجْرَدَ شيْظَم
ولقد شفى نفسى وأبرأ سُقمها ... قيلُ الفوارس : ويكَ عنترَ أقْدم

فإذا هو يرسم صورة حياته من خلال مشهد من مشاهد فروسيته ، ولم تكن للفارس منزلته السامقة إلا من خلال فرسه ، فهو رمز من رموز شجاعته ، وهو وسيلته إلى تجاوز الطبقة ، وانتزاع صك حريته من خلال إنقاذه لقبيلة برمتها ، ولذا راح يدير من خلاله ومعه هذا الحوار الإنسانى حتى كاد يتوحد معه ، فيبدو عليه خائفا ومشفقا ، ولا يكاد يتطهر من عاطفتَيْه هاتين تجاهه فى سياق حرب أو موقف سلم ، بقدر ما بدا شديد الحرص على استكشاف واقعه النفسى من خلال كثرة ما واجه من حروب ، وهو - أى الفرس - على أى حال - سبيل الفارس الأول إلى تحقيق مجده الشخصى والقبلى علي السواء .

ولم تكن اللوحة الحربية هى الوجه الوحيد للفروسية ، ولاهى ظلت قصرا على العبيد دون الأحرار ، بل كانت وسيلة الحر والأمير - أيضا - لإبراز إمارته وتأكيد سيادته عبر رحلة صيد يتخذه فيها أداة لا يهدأ إلاَّ إليها ، على لغة امرئ القيس- الملك الضِلِّيل - فى لاميته